أثر المرويّات الحديثية في التفسير اللغويّ لدلالة (تمنّى) في سورة الحج "دراسة لغويّة نقديّة"

أ.د. جنان ناظم حميد الدليميّ

كلّية الآداب – الجامعة المستنصريّة

الكلمات الافتتاحية: المرويّات، التفسير، اللغويّ، نقد

الملخص:

فكرة البحث جاءت من ملاحظة تأثّر مفسّري القرآن الكريم بالمعاني الظاهرة للأحاديث التي رويت عن النبيّ (ص) وفيها تفسير للآيات القرآنيّة، على الرغم من أنّ بعض المرويّات تتعارض مع ظاهر الآيات نفسها ، ومع ثوابت الدرس النحويّ واللغويّ ، غير أنّ الأولويّة عند عامّة المفسّرين في توجيه معاني الآيات منساقة نحو تطويعها لمطابقة المرويّات، تأثّرا منهم بما وصفت به الأحاديث من صحّة الإسناد، وإن كان هذا مُفضيا إلى التعارض بين آيات القرآن والنيل من مقام النبوّة وثوابت الدين . ولمّا كانت هذه الظاهرة واضحة في كتب التفسير انتخب البحث لفظة(التمنّي) مثالا لمخالفة المفسّرين للثوابت المعجميّة في الحكم على المشترك اللفظيّ التي تشترط وجود معنًى أصليّ يظهر في معاني اللفظة المختلفة ، فتكلّفوا لتحميل اللفظة معنى القراءة والتلاوة ، وهو معنى مقحم على مادّتها ، ولا يمكن الظفر بالمعنى الأصلي فيه، تأثّرا منهم برواية الغرانيق المنسوبة زورا إلى النبيّ (ص). ومن هنا يرى البحث ضرورة الوقوف عند التوجيهات اللغويّة للمفسّرين ونقدها بنحوٍ تكون فيه موافقةً للقياس اللغوي المبنيّ على الاستقراء الثابت لفصيح الكلام وفي مقدّمته البيان القرآنيّ، وغير مفضية إلى التعارض بين آيات الذكر الحكيم.

المقدّمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين نبيّنا محمّد وآله الطاهرين ومن صحبه بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد .

فإنّه لا يختلف اثنان حول تأثّر التفسير اللغويّ بالمرويّات الحديثيّة التي لا يكاد يخلو مُؤلَّف تفسيريّ منها عبر العصور والأزمان ، بل إنّ رفعة التفسير وأهمّيته

مرتبطة بمدى اعتماده على الأحاديث والمرويّات المسندة إلى رسول الله(ص) ، فبمقدار أخذ المفسّر بالسنّة يكون تفسيره قريبا من الصواب .

ولا غَرو في اعتماد التفسير اللغويّ على الأحاديث النبويّة الشريفة لتوضيح الآيات وبيان المراد منها، ذلك أنّ السنّة النبويّة هي المصدر الثاني للتشريع الإسلاميّ وهي الكاشفة عن مراد الآيات ودلالاتها. إلّا أنّ اللافت للانتباه وقوع التأويلات التفسيريّة والتوجيهات اللغويّة تحت طائلة المعاني المفهومة من الأحاديث النبويّة الموصوفة بصحّة الإسناد أو حسنه، مع أنّ كثيرا من هذه التأويلات اللغويّة والنحويّة تَخرج عن القياس اللغويّ المتعارف عليه لدى أرباب الصنعة النحويّة، فضلا عن مخالفتها لظاهر النصّ القرآنيّ وتعارضها مع آيات القرآن الكريم وفق ما يُعرف بالتفسير الموضوعيّ ممّا يُخِلّ بالوحدة الموضوعيّة لكتاب الله العزيز الذي وصفه سبحانه بقوله : " **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** " **سورة النساء 82** ، إلى جانب منافاتها الوقائع التاريخيّة والمسلّمات العقليّة . لذا جاء هذا البحث ليقف عند هذه الظاهرة ويُبيّن جانبها السلبيّ الذي خضع فيه التفسير اللغويّ لسطوة ما يُعرَف بالأسانيد الحديثيّة لتكون هي المهيمنة على التوجيهات اللغويّة، وليست القواعد التنظيريّة التي أجهد علماء اللغة أنفسهم في استقرائها وتدوينها في مؤلّفاتهم ، مع ما في هذه التأويلات الاجتهاديّة من ابتداع القول بالتقديرات والمحذوفات في التركيب اللغويّ للآيات القرآنيّة وسياقاتها العامّة، والقول بالإضمار والحذف والزيادة ، والتقديم والتأخير ، وتأويل الأبنية الصرفيّة والمعاني المعجميّة عن ظاهرها ممّا يُعدّ ضربا من تحريف الكلم عن مواضعه ، ومخالفة للإعجاز اللغويّ في النظم القرآنيّ المبنيّ على أساس احترام الظاهر القرآنيّ الذي يبرز فيه الإعجاز اللغويّ متمثّلا بالحفاظ على البناء اللفظيّ كما هو في المصحف دون القول بتحوّله من بناء آخر ، وبالحفاظ على وحدة التركيب دون القول إنّه حُذِف منه لفظ أو قُدِّم على غيره، أو نابت فيه أداة عن غيرها ، واعتماد الأصول المعجميّة معيارا للحكم على الألفاظ وتطوّرها الدلاليّ . فيكون المُعتَمد من المرويّات الحديثيّة ما لا يُخرِج تركيب الآيات عن ظاهرها، ولا يحملها على معارضة بعضها بعضا ، وليس وصفها بالصحة أو الحسن ، أخذا بتحذير النبيّ (ص) لأمّته من أنّه سيُكذَب عليه، وأنّه من تعمّد الكذب عليه (ص) سيأخذ مقعده من النار[1] ، فضابط الصحّة في الحديث وما رُوي عنه (ص) هو

تطابقه مع عموم القرآن وعدم اصطدامه بآياته البيّنات ، وليس في وثاقة النَقَلة من الرجال[2] .

وفي هذا البحث دعوة إلى إقصاء التأويلات التي لا تُحافظ على الظاهر التركيبيّ والصيغيّ للآيات القرآنيّة ، وإلى غربلة الأحاديث التي تؤدّي إلى تعارض الآيات ، وإلى توهين المسلّمات العقديّة لمفاهيم القرآن وأوّلها توقير شخصيّة النبيّ الخاتم وعدم القدح بعصمته (ص) ، فضلا عن تصادمها مع القواعد التنظيريّة اللغويّة والنحويّة المبنيّة على الاستقراء لفصيح الكلام وعلى قمّته القرآن الكريم . وقد توافر البحث على نماذج من هذه التأويلات اللغويّة التي رُوعيت فيها وثاقة الأسانيد الحديثيّة على حساب المُسلّمات العقديّة واللغويّة والوحدة الموضوعيّة للكتاب الحكيم ، فاختار البحث أنموذجا منها يتّضح فيه أثر المرويّات الحديثيّة في توجيه الدلالة المعجميّة للفظة (التمنّي) الواردة في قوله تعالى : " **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** " **سورة الحجّ : 52** . وكان انتخاب هذا الأنموذج اعتمادا على التوجيه اللغويّ المبرّز للاية محلّ البحث التي أصابها الإشكال التفسيريّ والتأويل القسريّ بفعل تأثّرها بالمرويّات الحديثيّة ، مع ضرورة التنبيه على أنّ كلّ مستوًى حدث فيه تأويل اعتباطيّ كان من تداعياته أن تزحف التأويلات لتشمل الجوانب اللغويّة الأخرى ؛ ذلك أنّ النظام اللغويّ وحدة متكاملة لا يمكن التفكيك بينها ، وأنّ المساس بمستوًى واحد يؤدّي إلى تمزّق النسيج اللغويّ كاملا .

التمهيد : علاقة علم الحديث بالدراسات اللغويّة والنحويّة

لمعرفة أثر المرويّات الحديثيّة في التفسير اللغويّ للقرآن الكريم لا بدّ من تلمّس الصلة بين علم الحديث وعلوم العربيّة ، وهنا يمكن القول إنّ للحديث النبويّ أهمّيّة واضحة و أثرا بيّنا في مختلف العلوم الإسلاميّة ، سواء منها علوم الدين أو علوم العربيّة، فالحديث الشريف هو كلام النبيّ (ص) الذي بيّن به مراد الخالق تعالى ، وفسّر كتابه العزيز ، وهذه مهمّة الرسول (ص) بنصّ الذكر الحكيم : " **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** "سورة النحل44، فمهمّة الحديث النبويّ هي شرح كلام الله وتبيان معانيه[3]، وهو المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، ومن هنا اكتسب الحديث النبويّ صفة قدسيّة نظرا لمهمّته التشريعيّة، فضلا عن كونه الوحيّ التأويليّ . فالسنة والكتاب توأمان لا

ينفكّان، ولا يتمّ التشريع إلّا بهما جميعا[4] . وقد كان أوّل العلوم تأثّرا بعلم الحديث هو علم التفسير وعلوم القرآن، إذ إنّ الصحابة لجؤوا إلى أحاديث النبيّ (ص) لتفسير كلام الله فهو الأعلم به، وقد ظلّ التفسير حتّى بعد أن استقلّ واكتمل علما قائما بذاته " شديد الارتباط بحديث الرسول، ولو في جانب منه على الأقلّ وهو جانب التفسير بالمأثور "[5] ، إذ وجد علم التفسير" طريقه في رحاب الحديث حين عوّل المفسّرون على السنّة النبويّة في تأويل كتاب الله "[6]

وحتّى نتبيّن شدّة الارتباط بين علمي التفسير والحديث نجد أنّه قد ظهر من بين المحدّثين كثير من القرّاء ومنهم كثير من علماء العربيّة : نحوها وصرفها ولغتها ، ونحن نعلم أنّ سيبويه كان مبدأ أمره في حلقات الحديث[7] ، وكان هذا شأن معظم علماء النحو والعربيّة . لذا نجد المفسّرين لاينفكّون عن الاعتماد على السنّة وأحاديث النبيّ في تفسير التراكيب القرآنيّة وبيان معانيها اللغويّة ، يقول الطبريّ : " إنّ ممّا أنزل الله من القرآن على نبيّه ما لا يوصل إلى علم تأويله إلّا ببيان الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) ، وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره ونهيه وندبه وإرشاده "[8]، وفي ذلك يقول أبو حيّان الأندلسيّ في بيان ما يحتاج إليه المفسّر من " تبيين مبهم ، وتبيين مجمل ، وسبب نزول، ونسخ ، ويؤخذ ذلك من النقل الصحيح عن رسول الله (ص) وذلك من علم الحديث "[9] ، فقد نشأ علم التفسير في ظلّ الحديث النبويّ وبعين رعايته ، وعلى هدي من قوانينه وأسسه التي كان لها الأثر الملحوظ في علوم الدين والعربيّة[10] .

وقد كان الفقه من العلوم التي تأثّرت بالحديث –أيضا- ثمّ استقل عن الحديث ولكنّه ظلّ متأثّرا به ، فالكثير من الفقهاء كانوا في الأصل محدّثين ، ومن الفقه والحديث كان الفضل على علماء العربيّة إذ عنهم أُخِذَت القواعد والأسس التي نشأت عليها علوم العربيّة فإنّ " العصر الذي نشطت فيه الحركة النحويّة ، ودوّنت فيه كتب النحو كان متأثّرا بما نشط فيه من علوم الدين من حديث وفقه وعلوم العقل من جدل وكلام "[11] ، و" ظلّت أفكار النحاة عالقة بأساليب الفقهاء وأحكامهم ، لا يذكرون القاعدة اللغويّة أو النحويّة حتى يبادروا إلى الفقه يلتمسون فيه الشبيه والنظير "[12] وقامت نظريّات النحاة وقوانينهم في أساسها على مثال نظريّات وقوانين أهل الحديث الذين يقول فيهم ابن جنّيّ : " هم عيار هذا الشأن وأساس هذا البنيان "[13]، وفي هذه الصلة الوثيقة بين العِلمين يقول السيوطيّ : " علم الحديث واللغة أخوانِ يجريان من وادٍ واحد " [14]. وقد ظهرت آثار علمي

الحديث والفقه على علوم العربيّة منهجا وتبويبا وتطبيقا ، يقول ابن جنّيّ في سبب تأليف كتابه الخصائص : " لم نرَ أحدا من علماء البلدين تعرّض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه "[15] . وأكّد هذا الارتباط بين العِلمين الأنباريّ بقوله : " جماعة من الفقهاء المتأدّبين والأدباء المتفقّهين سألوني أن ألخّص لهم كتابا لطيفا يشتمل على المسائل الخلافيّة بين الشافعيّ وأبي حنيفة ليكون أوّل كتابٍ صُنِّف في علم العربيّة " [16]، وصرّح السيوطيّ بهذا الترابط وهذا التأثّر بين العلمين قائلا : " قصدت أن أسلك بالعربيّة سبيل الفقه "[17]

ومن هذا التواشج بين علمي الحديث والفقه مع علوم العربيّة ، ومن مكانة السنّة النبويّة في تفسير القرآن الكريم ، نتبيّن أثر المعاني الحديثيّة في توجيه المسائل اللغويّة في كلام المفسّرين القدماء والمحدثين حتى غُلِّب المعنى الحديثيّ على قواعد اللغة ليحلّ التفسير اللغويّ الاعتباطيّ محلّ التفسير القصديّ ، ولم يُراعَ –في كثير من الأحيان- تعارض هذه المعاني الحديثيّة مع مواردها القرآنيّة . وفيما يأتي بيان لتأثُّر التفسيرات اللغويّة على اختلاف مستوياتها بالأحاديث والمرويات النبويّة ، داعين إلى ضرورة الاحتكام إلى القواعد التنظيريّة اللغويّة باعتماد شرطين رئيسَين : الأوّل : عدم تعارض التفسير اللغويّ مع ظاهر النصّ القرآنيّ ، وهو مبدأ أقرّه البصريّيون والكوفيّون معا [18]، غير أنّ كلّ فريق منهم لم ينتهجه إلّا بالقدر الذي تُسعِفهم به حجّتهم للعمل بالظاهر. والشرط الثاني : ألّا يؤول التفسير اللغويّ إلى التعارض بين آيات القرآن الحكيم ؛ لأنّه " **لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** " سورة النساء 82 .

المطلب الأوّل : المرويّات الحديثيّة وأثرها في اصطناع الاشتراك اللفظيّ

يشمل هذا المستوى أمورا كثيرة ، منها الاشتراك والتضادّ اللغويّ ، والترادف ، وتعميم الدلالة وتخصيصها ، وهبوط الدلالة ورقيّها ، وتغيير مجرى الدلالة ، وغير ذلك ، وقد انتخبنا واحدا من هذه المسائل يظهر فيه أثر المرويات الحديثيّة في توجيه المعنى المعجميّ بصورة جليّة ، وهي لفظة التمنّي في قوله تعالى : " **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** " سورة الحجّ 52 ، إذ حمل أكثر المفسّرين دلالة التمنّي على الاشتراك اللغويّ بضميمة معنًى ثالث غير مشهور إلى المعنيين المعروفين لهذه اللفظة ، و إنّ معناها المشهور الذي عُرِفَت به هو حبّ الشيء والرغبة فيه سواء كان الحصول عليه ممكنا أو غير ممكِن[19] ، ولمّا

كان الحصول على الشيء البعيد يتطلّب تصوّرات لما هو صعب ومُحال كانت هذه التصوّرات أشبه بالأكاذيب والقول بما لا يُمكن ، ومن هنا كان المعنى الثاني لهذه اللفظة وهو الكذب [20]، أمّا المعنى الذي أضيف إلى هذه اللفظة فهو القراءة والتلاوة ، وهو معنى غير معروف للفظة ، فلم يرد نصّ شعريّ بهذا المعنى غير بيتين من الشعر تُؤوِّل فيهما لمعنى القراءة ، دون النظر في القرائن الظاهرة في البيتين على إرادة المعنى المشهور للتمنّي –على ما سيأتي- ، فضلا عن كونهما بيتين من شعر نُظِم بعد القول برواية الغرانيق التي كانت هي المُعتَمَد لدى المفَسّرين في إقحام معنى القراءة في لفظة التمنّي، وهذه الرواية من الإسرائيليّات المُسيئة للنبيّ الأكرم والقرآن الكريم [21] ، إذ أوردها الطبريّ لبيان سبب نزول الآية المباركة ، وبها جُعِل التمنّي بمعنى القراءة وتلاوة الوحي ، إذ ذَكَر أنّ الشيطان كان قد ألقى على لسان النبي (ص) في بعض ما يتلوه ممّا أنزل الله عليه من القرآن ما لم ينزّله الله عليه ، فاشتدّ ذلك على رسول الله (ص) واغتمّ ، فسلّاه الله ممّا به بهذه الآيات ، ونصّ الرواية التي أوردها الطبريّ هي : " جلس رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) في نادٍ من أندية قريش كثير أهله ، فتمنّى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء فينفِروا عنه ، فأنزل الله عليه : " والنجم إذا هوى ، ما ضلّ صاحبكم وما غوى " ، فقرأها رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) حتى إذا بلغ : " أفرأيتم اللات والعزّى ومناة الثالثة الأخرى" ألقى عليه الشيطان كلمتين : تلك الغرانقة العُلى ، وإنّ شفاعتهنّ لتُرتجى . فتكلّم بها ، ثمّ مضى فقرأ السورة كلّها ، فسجد في آخر السورة ، وسجد القوم جميعا معه ، ورفع الوليد بن المغيرة ترابا إلى جبهته فسجد عليه ، وكان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود ، فرضُوا بما تكلّم به وقالوا : قد عرفنا أنّ الله يُحيي ويُميت ، وهو الذي يَخلق ويرزق ، ولكنّ آلهتنا هذه تشفع لنا عنده ، إذ جعلت لها نصيبا ، فنحن معك ، قالا فلمّا أمسى أتاه جبرائيل (عليه السلام) ، فعرض عليه السورة ، فلمّا بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال : ما جئتك بهاتين ، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) : افتَرَيْتُ على الله ، وقلتُ على الله ما لم يَقُل ، فأوحى الله إليه : " وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره " ... إلى قوله : " ثمّ لا تجد لك علينا نصيرا " فما زال مغموما مهموما حتّى نزلت عليه : " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ إلّا إذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيّته فيَنسَخ الله ما يُلقي الشيطان ثمّ يُحكم الله آياته والله عليم حكيم " . قال : فسمع مَن كان من المهاجرين بأرض الحبشة أنّ أهل مكّة قد أسلموا كلّهم ، فرجعوا إلى عشائرهم

وقالوا : هم أحبّ إلينا ، فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان " [22]. والمفهوم من هذا التفسير أنّ الشياطين لهم القدرة على إقحام كلامهم الكفريّ في كلام الله أثناء تلاوة الأنبياء له ، وهذا شأن الشياطين مع كل الأنبياء إذ يتلاعبون بالوحي فينسخ الله كلام الشياطين ويُثبت كلامه . ومن العجيب أن نجد هذا التفسير حاضرا لدى الطبريّ وسائر المفسّرين المتقدّمين وأصحاب المعاني[23] بعد أن روَوا عن ابن عبّاس قوله بقصّة الغرانيق المزعومة هذه ، وأنّ جذر هذه القصّة مذكور بجُزئيّة مُقتطَعَةٍ منه ، وهي رواية ابن عبّاس سجودَ المشركين بالنجم في كتب الحديث الموصوفة بالصحّة ، إذ أورد البخاريّ في صحيحه في كتاب سجود القرآن، باب سجدة النجم عن ابن عبّاس " أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) قرأ سورة النجم فسجد بها ، فما بقي أحد من القوم إلّا سجد ، فأخذ رجل من القوم كفّا من حصًى أو تراب ، فرفعه إلى وجهه وقال : يكفيني هذا ، فلقد رأيته بعدُ قُتِلَ كافرا " [24] ، وروى هذا –أيضا- في باب سجود المسلمين مع المشركين ، عن ابن عبّاس " أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجنّ والإنس"[25] . وقد تمسّك المرتدّ الهنديّ سليمان رشدي بهذا التفسير الإسرائيليّ السائد كثيرا في التفاسير الإسلاميّة المُتقدِّمة ، فشنّ حملة شعواء على النبيّ الأكرم (ص) والقرآن الكريم في كتابه المُلفّق : آيات شيطانيّة .

وقد حاول جملة من المفسّرين الخروج من هذا المأزق الذي يقدح في عصمة النبيّ (ص) في التبليغ فضلا عن عصمة الوحي في أن يكون محفوظا من التلاعب والتغيير، إذ تصطدم هذه الرواية التي جعلت التمنّي بمعنى القراءة وتلاوة القرآن بآيات القرآن وسياقاته القوليّة التي تؤكّد حقيقة العصمة للقرآن وحامله ، من نحو قوله تعالى : " **وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ** " سورة الشعراء 192- 193، وقوله تعالى : " **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** " سورة الحجر 9 ، قوله سبحانه : " **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ**" سورة الحاقة 44 ، وقوله تعالى : "**وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا** " سورة الإسراء 74، فالتثبيت واقع والمقاربة منفيّة [26] ، والقرآن صريح بأنّ الله تعالى لم يجعل للشيطان سلطانا على عباده المخلَصين فكيف بفخر الكائنات وخاتم المرسلين ، قال تعالى : " **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**" سورة الأعراف 16 ، وقد زكّى الله رسوله في كل ما يقول وما ينطق فقال سبحانه : " **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3)**

إِنْ هُـوَ إِلَّا وَحْيٌ يُـوحَى " سـورة الـنجم 3 . غير أنّ التـأويلات المُقدَّمـة لحـلّ هـذا المُشـكِل لـم تنفّـك مـن أسـر هـذه المرويّـات ، فحمَـلَ أغلبهـا توجيهـاتٍ اعتباطيّـة تمَـسّ ببلاغـة الـنظم القرآني للآيـة الشـريفة تعتمـد في محورهـا على دلالـة لفظـة (التمنّي) ، ويمكـن إيـراد هـذه التـأويلات مقسّـمَة على وفـق المعنيـين المُقـدَّمَين للفعـل (تمنّى) في المطلبـين الآتيين :

المطلب الثاني : تمنّى بمعنى قرأ القرآن وتلا بعض آياته

وهـو تأويـل الجمهـور[27] ، قـال البغـويّ : " وأكثـر المفسّـرين قـالوا : معنى قولـه (تمنّى) يعني : تـلا وقـرأ كتـاب الله تعـالى "[28]، تـأثُّرا مـنهم بروايـة الغرانيـق ، فاسـتلزمهم هـذا ثلاثـة تـأويلات باطلـة : أحـدها أنّهـم جعلـوا فعـل الإلقـاء في الآيـة مـن الشـيطان على لسـان النبيّ مباشـرةً ، وهـو تأويـل المتقـدّمين مـن المفسّـرين وعلى رأسـهم الطبريّ الـذي اختـاره قـائلا : " فتأويـل الكـلام إذن : ومـا أرسـلنا مـن قبلـك مـن رسـول ولا نبيّ إلّا إذا تـلا كتـاب الله وقـرأ ، أو حـدّث وتكلّـم ، ألقـى الشـيطان في كتـاب الله الـذي تـلاه وقـرأه ، أو في حديثـه الـذي حـدّث وتكلّـم ... فيُـذهب الله مـا يُلقي الشـيطان مـن ذلـك على لسـان نبيّـه ويُبطِلُـه"[29] ، وبعضـهم حـاول تخفيـف وَطْء الإلقـاء على لسـان العصـمة بـأن يلـوذ بعـذر الغفلـة والسـهو وعـدم التنبّـه ، وربّمـا الاسـتغفال –حاشـا رسـول الله (ص) - فعـن قتـادة أنّـه قـال : " أُغفِـي النبيّ (صـلّى الله عليـه وسـلّم) إغفـاءة فجـرى ذلـك على لسـانه بإلقـاء الشـيطان ولـم يكـن لـه خبـر ، والأكثـرون قـالوا : جـرى ذلـك على لسـانه بإلقـاء الشـيطان على سـبيل السـهو والنسـيان ، ولـم يلبـث أن نبّهـه الله عليـه "[30] ، " فالـذي في التفاسـير وهـو مشـهور القـول أنّ النبيّ (صـلّى الله عليـه وسـلّم) تكلّـم بتلـك الألفـاظ وأنّ الشـيطان أوهمـه ووسـوس في قلبـه حتّى خرجـت تلـك الألفـاظ على لسـانه "[31] . ومـنهم مَـن تعـذّر للشـيطان في تدخّلـه في الـوحي بـأنّ النبيّ (ص) هـو مَـن أعطى هـذه الفرصـة للشـيطان ، إذ تعجّـل (ص) في قراءتـه ، فقـال : " ولمّـا كـان النبيّ (صـلّى الله عليـه وسـلّم) كثيرا مـا كان يبـادر إلى مـا نـزل بـه الـروح الأمين على قلبـه حتّى قيـل لـه : " ولا تعجـل بـالقرآن " طـه 114 ، " ولا تُحـرّك بـه لسـانك لتعجـل بـه " القيامـة 16 ، سـعّى تلاوتـه على ذلـك تمنّيـا ، ونبّـه أنّ للشـيطان تسـلُّطا على مثلـه في أمنيّتـه ، وذلـك مـن حيـث أنّ العجلـة مـن الشـيطان "[32] . ولـم يُميّـز هـؤلاء بـين العجلـة المحمـودة مـن نحـو التعجيـل للصـلاة في أوّل وقتهـا ، والتعجيـل في أداء فريضـة الحـجّ [33] ، وأداء الـدين وغير ذلـك مـن أمـور العبـادة التي تكـون العجلـة بهـا مُسـارعة في الخيرات . وبـين العجلـة المذمومـة التي تكـون في حـبّ الـدنيا وتحـرّي أمورهـا . فـالنبيّ (ص) كـان " إذا نـزل عليـه

القرآن عجّل بتحريك لسانه ؛ لحبّه إيّاه وحرصه على أخذه وضبطه مخافة أن ينساه "[34] . فما ذكروه مردود بالمعنى اللغويّ للنسخ ، فضلا عن تعارض تأويلهم مع السياق القرآنيّ في العصمة وتعارضه مع العقل والشرع ، فأمّا " من جهة المعقول ، فلا يمكن ذلك ؛ لأنّ تجويزه يطرق إلى تجويزه في جميع الأحكام والشريعة ، فلا يُؤمَن فيها التبديل والتغيير ، واستحالة ذلك معلومة"[35]. وأمّا المعنى اللغويّ للنسخ فيعني النسف والإزالة والتغيير ، يُقال : نسَخَتِ الشمسُ الظلَّ : أزالته ، ونسخت الريح آثار الديار: غيّرتها [36]. أمّا النسخ بمعناه القرآنيّ فيعني تغيير آية قرآنيّة بأخرى ، يُقال : نسخ الله الآية بالآية : أزال حكمها وأبقى لفظها ، ونسَخَ الكتابَ أي جاء بنسخة أخرى منه مع بقاء النسخة الأصليّة ، فالنسخ بمعناه القرآنيّ يكون فيه الناسخ والمنسوخ من سنخ واحد متّصلين لا مختلفين . ولمّا كان الناسخ والمنسوخ – على وفق هذا التفسير- مختلفين وهما كلام الله وكلام الشياطين ، فلا يمكن حمل معنى الفعل (ينسَخ) على المعنى الإسلاميّ القرآنيّ ؛ لأنّ الله تعالى إنّما ينسخ كلامه بكلامه مع حفظ الناسخ والمنسوخ تلاوة ولفظا ، ولو قيل : إنّ الله تعالى ينسخ بكلامه كلام الشياطين ، للزم من هذا أنّ كلام الشياطين محفوظ لفظه أيضا كما حُفِظ كلام الله المنسوخ تلاوة ولفظا ، وهذا خلاف الواقع ، فثبت هنا أنّ معنى (ينسَخ) في الآية لا يمكن حمله على المعنى الإسلاميّ القرآنيّ بل هو محمول على المعنى اللغويّ القديم الذي هو التغيير والإزالة [37]، فلا علاقة للقصّة بمجملها في نزول القرآن وتلاوة آياته ، بل هو شيء آخر . وعلى وفق رواية الغرانيق يكون معنى الفعل (ينسخ) هو تنبيه جبرائيل للنبيّ الأكرم على الكلام الكفريّ المُلقى في تلاوته ، فيُبادر النبيّ (ص) إلى حذف كلام الشيطان وإزالته . وهذا المعنى هجين وغريب ؛ لأنّ الفعل (نسخ) لا يدلّ على معنى التنبيه بل هو إزالة وتغيير لغةً وشرعا .

ولمّا كان هذا التأويل متعارضا مع آيات القرآن في عصمة النبيّ (ص) والقرآن معا ، ومع الشرع والعقل ، لجأ بعض المفسّرين إلى تأويلَين آخرين ، غير أنّهم بقُوا دائرينَ في فلك الرواية المُفتراة ، فذهب جماعة من المفسّرين إلى القول بأنّ الشيطان لم يُلقِ الوحي على لسان النبيّ مباشرة ، بل كان يُحاكي كلامه ويُسمِع من حوله بتقليد صوته ليوهمَهم أنّه كلام النبي (ص) ، فـ" الشيطان نطق بلفظ أسمعه الكفار عند قول النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى " سورة النجم 20 ، وصوّب صوته من صوت النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) حتّى التبس الأمر على المشركين "[38]، لأنّ من عادة النبيّ (ص) أنّه " يرتّل

القرآن ترتيلا ، ويُفصِّل الآي تفصيلا في قراءته ... فيمكن ترصّد الشيطان لتلك السكنات ودسّه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات مُحاكيا نغمة النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفّار ، فظنّوها من قول النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) وأشاعوها"[39] . وزعموا في هذا التأويل أنّ " الضمير في (أمنيّته) عائد على الشيطان، ، أي : في أمنيّة نفسه ، أي : بسبب أمنيّة نفسه "[40]، وليس عائدا على الرسول (ص) ، وأنّ هذا " هو الذي ينبغي أن يكون"[41] ، فالمعنى أنّ النبيّ (ص) يتلو القرآن ، والشيطان يستمع ويُردّد القرآن بقصد المُكاء والتصدية ، أي : التشويش على النبيّ بصوت مرتفع ، فيُلقي الشيطان كلاما كفريّا أثناء ترديده للقرآن سماعا من النبيّ (ص) ، فيظهر صوت الشيطان بالكلام الكفريّ إلى مسامع الحاضرين ، فينسخ الله قراءة الشيطان ويُثبت قراءة النبيّ (ص) [42]. وهذا التأويل بعيد لُغةً ؛ فسياق القول في الآية صريح بأنّ اللفظين : (تمنّى) و(أمنيّته) صادران من فاعل واحد ، فيبطل حملهما على فاعلين مختلفين إلّا بدليل لغويّ ظاهر. ثمّ إنّ الله تعالى جعل السبيل الأظهر لحفظ القرآن الكريم هو القراءة والتلقّي سماعا : " **فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ** " سورة القيامة : 18 ، فكيف يجعل للشيطان سبيلا إلى مسامع الصحابة ، ولو حصل ذلك لتعذّر عليهم حفظ القرآن في صدورهم بعد أن يلتبس عليهم الوحي المُنزَّل بكلام الشياطين .وهذا التأويل لا يخلو من الضعف أيضا؛ لأنّه يقدح من وجهٍ آخر بالقدرة الإلاهيّة على صون الوحي من تلاعب الشيطان به ومحاكاته ، " فإنّك إن جوّزت أن يتكلّم الشيطان في أثناء كلام الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) بما يشتبِه على كلّ السامعين كونه كلاما للرسول ، بقي هذا الاحتمال في كلّ ما يتكلّم به الرسول ، فيُفضي إلى ارتفاع الوثوق عن كلّ الشرع "[43] ، فضلا عن أنّ هذا التأويل يستدعي تحريف كلم الآية ، بأن جعلوا حرف الجرّ (في أمنيّته) بمعنى (عند) ، " أي : ألقى الشيطان في قلوب الكفّار عند تلاوة النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) ، كقوله عزّ وجلّ : " ولبثت فينا" الشعراء 18 ، أي : عندنا "[44]، وهذا التأويل مردود بأنّ حرف الجرّ (في) باقٍ على دلالته الرئيسة [45] ، ولا يجوز العبث بالظاهر القرآنيّ ؛ لأنّ التمنّي باقٍ على مشهور معناه –على ما سيأتي – وما استدلّوا له من آية الشعراء لا يستقيم لهم ؛ لأنّ حرف الجرّ في الآية الكريمة باقٍ على معناه – أيضا- في الدلالة على الظرفيّة المكانيّة ، والفرق واضح بين التعبيرين : لبث عنده ، بمعنى : بقي لفترةٍ بقاءَ الضيف عند مُضيفه ، وبين التعبير القرآنيّ : لبث فيهم ، بمعنى : بقي فترة من عُمره بقاء الابن بين أهله ، وكانوا يُحبّونه ويرعونه كواحد

منهم، لذا ذكّره فرعون بهذه المعاملة الخاصّة له دون بقيّة قومه، ولولا هذه الظرفيّة لما فُهِم معنى الرعاية له والاهتمام به ، إذ قُرِن بالتربية في صدر الآية : " **قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ** " سورة الشعراء 18 .

أمّا التأويل الاعتباطيّ الآخر المبنيّ على معنى القراءة في (تمنّى) فيجتهد في إبعاد تلاعب الشيطان في قراءة النبيّ (ص) ، إذ رأى مُفسِّرون آخرون أنّ حلّ الإشكال يكمن في مفعول الفعل (ألقى) المحذوف من السياق ،وتضاربت أقوالهم في تقدير هذا المُلقى على رأيين : رأي يذهب إلى أنّه شُبُهات تُلقى سماعا وجهرا ، والتقدير : ألقى الشيطان في قراءة الرسول (ص) أباطيله وأراجيفه ، فالقرآن الكريم ينزل بالأحكام الشرعيّة من الله تعالى، لكنّ الشيطان لا يترك النبيّ (ص) يبلّغ الأحكام بل يقول لأتباعه : هذا سحر ، أساطير الأوّلين ، وأنّه شاعر أو مجنون[46] ، وغيرها من العراقيل والعقبات التي يلقيها الشيطان لتشويه صورة القرآن في نفوس السامعين لصرفهم عنه [47] ، لكنّ الشيطان لا يُفلح أبدا ، إذ ينسخ الله أكاذيب الشيطان ويُحكم آياته . ولكنّ هذا التوجيه لم يخبرْنا أصحابُه عن طبيعة هذه الأساطير والأراجيف التي تُلقى سماعا وجهرةً ، هل هي موجّهة إلى الصحابة أم إلى المشركين ، وما تأثيرها عليهم ؟ ثمّ كيف أزال الله تعالى تلك الأكاذيب والأقاويل مع أنّها تزداد يوما بعد يوم حتّى يومنا هذا ؟

والرأي الثاني يُقدِّر مفعول (ألقى) محذوفا بمعنى (شبهات تُلقَى سرّا وخلسة) ، فرأى بعضهم أنّ المراد بالآية هو أنّ الشيطان يُلقي الشبهات والتخيُّلات على أعوانه وأوليائه لحظة نزول القرآن بالآية المناسبة للشبهة ، كشُبهة كون عيسى (ع) في جهنّم التي أثيرت بعد نزول قوله تعالى: " **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ** " سورة الأنبياء : 98 ، بزعم أنّ عيسى قد عُبِد زورا من دون الله كما في قوله تعالى: " **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ** " سورة المائدة : 116 ، وكذا الملائكة عُبدوا من دون الله فهم حصب جهنّم أيضا ، فمعنى الآية أنّ النبيّ (ص) يقرأ الآيات والشيطان يُثير الشبهات بين أوليائه سرّا وخلسة فيسعون في نشرها بين الناس لصرفهم عن هذا الدين الحنيف[48]، لكنّ العناية الإلهيّة تتدخّل دائما بمحو آثار الشيطان وتحكيم آيات الله ، وتنفيذ وعده سبحانه في نحو قوله تعالى: " **كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**" سورة المجادلة 21 . وواضح من سياق الموقف عبر التاريخ أنّ كيد الشيطان لم يُدحَر بعدُ ، بل له الغلبة والسطوة على

النـاس حتّى الآن، وكـذلك فـإنّ ـ فعلي النسـخ والإحكـام جـاءا في نظـم الآيـة بصـيغة المضـارع المـرتبط بحـرف العطـف (الفـاء) الـدالّ على الترتيـب بـين المعطوفـات بـلا مهلـة زمنيّـة[49] ،أي فَـور حصـول الإلقـاء الشـيطانيّ لا بعـده ، ولـو أريـد النسـخ والإحكـام فيمـا بعـد الإلقـاء لاسـتعمل حـرف التراخي[50] : السـين أو (سـوف) . فضـلا عـن أنّ هـذا الوجـه لا يخلو من الحاجة إلى القول بنيابة (في) عن (عند) .

والعجـب مـن شـدّة تمسّـك المفسّـرين بروايـة الغرانيـق المنسـوبة زورا إلى النبيّ (ص) –على الـرغم مـن شـعورهم بتطاولهـا على مقـام النبـوّة- حتّى أنّهـم راحـوا يتـأوّلون للبيـت الشـعريّ الـذي أثبتـوا بـه للشـيطان الإلقـاء على لسـان النبيّ (ص) ، وهـو قولـه : (تلـك الغرانيـق العلـى وإنّ شـفاعتهنّ لتُرتجى)، تـارةً بـأنّ المـراد مـن لفظـة الغرانيـق الـواردة في هـذا البيـت(الملائكـة)، وإنّ ذلـك كـان قرآنـا منزّلًا في وصـف الملائكـة ، و تـارةً أنّ هـذا البيـت يُـراد منـه الاسـتفهام بحـرف اسـتفهامٍ محـذوف والغايـة منـه إنكـار أن تكـون الغرانيـق آلهـة تُرجى منهـا الشـفاعة ، وغيـر ذلـك ممّـا ينـدى لـه الجبـين في إلصـاق كلام الشيطان بالوحي النازل على رسول ربّ العالمين[51] .

وهـذه الآراء الثلاثـة مُجْتَمِعَـة التـي تقـوم علـى أنّ تمنّـى دالّ علـى القـراءة، منتقضـة بالـدليل اللغـويّ، فهـذا المعنى لـم يُحـرَز في الاسـتعمال القرآنـيّ لمـادّة التمنّي، بـل الاسـتعمال القرآنـيّ كلّـه في المعنى المشـهور وهـو الرجـاء والرغبـة في الشـيء[52] ، قـال تعـالى : "**وَأَصْـبَحَ الَّـذِينَ تَمَنَّـوْا مَكَانَـهُ بِـالْأَمْسِ يَقُولُـونَ وَيْكَـأَنَّ اللَّـهَ يَبْسُـطُ الـرِّزْقَ لِمَـنْ يَشَـاءُ مِـنْ عِبَـادِهِ وَيَقْـدِرُ** " سـورة القصـص 82 ، وقولـه : " **قُـلْ إِنْ كَانَـتْ لَكُـمُ الـدَّارُ الْآخِـرَةُ عِنْـدَ اللَّـهِ خَالِصَـةً مِـنْ دُونِ النَّـاسِ فَتَمَنَّـوُا الْمَـوْتَ إِنْ كُنْـتُمْ صَـادِقِينَ** " سـورة البقـرة 94 . وتكلّـف بعضـهم التأويـل في قولـه تعـالى : " **وَمِـنْهُمْ أُمِّيُّـونَ لَا يَعْلَمُـونَ الْكِتَـابَ إِلَّا أَمَـانِيَّ وَإِنْ هُـمْ إِلَّا يَظُنُّـونَ** "سـورة البقـرة 78 ، فقيـل إنّ الأمـانيّ جمـع أُمنِيَـة مـن تـلا وقـرأ ، وهـو تأويـل لـم يُحتَـفَ بـه[53] ؛ لأنّـه منقـوض بصـدر الآيـة، وهـو وصـفهم بـالأمّيّين ؛ لأنّ الأمّـيّ هـو الـذي لا يعـرف القـراءة والـتلاوة[54]، وقـد وردت (الأماني) في هـذه الآيـة في حـقّ فريـقٍ مـن اليهـود قوبلـوا بنظـائرهم في العنـاد ممّـن يعلـم الكتـاب ويعمـل على تحريفـه ، قـال تعـالى : " **فَوَيْـلٌ لِلَّـذِينَ يَكْتُبُـونَ الْكِتَـابَ بِأَيْـدِيهِمْ ثُـمَّ يَقُولُـونَ هَـذَا مِـنْ عِنْـدِ اللَّـهِ لِيَشْـتَرُوا بِـهِ ثَمَنًـا قَلِـيلًا** " سـورة البقـرة 79 . وإنّ الأُمنيّـة مُشـتقّة مـن التمنّي الـذي يعني " تقـدير شـيءٍ في الـنفس وتصـويره فيهـا، وذلـك قـد يكـون عـن " تخمـينٍ وظـنّ أو يكـون عـن رويّـة وبنـاءٍ على أصـلٍ "[55] ، ولمّـا كـان " أكثـر التمنّي تصـوّر مـا لا حقيقـة لـه ، قـال تعـالى : " **أَمْ لِلْإِنْسَـانِ مَـا تَمَنَّـى** " سـورة الـنجم 24 ،

فحمل الأمانيّ على معنى التصوّرات الذهنيّة في هذه الآية هو الراجح ، ولا يُعقل أن يكون المراد بها القراءة والتلاوة ؛ لأنّ القراءة من لوازم العلم ، فكيف يستقيم سياق الآية مع التقدير: (لا يعلمون الكتاب إلّا أمانيّ) ؟ ومَن ذهب إلى أنّها تلاوة مجرّدة عن المعرفة " من حيث إنّ التلاوة بلا معرفة المعنى ، تجري عند صاحبها مجرى أمنيّة تمنّيتها على التخمين "[56] ، فهو ذاهبٌ إلى القول بالتشبيه من غير وقوفٍ على وجه الشبه الرابط بين ركني التشبيه . ولو أريد بالأمانيّ القراءة والتلاوة فلا وجه لجمعها على صيغة منتهى الجموع لأنّها من المصادر. وقد استدلّ الطبريّ على انتفاء معنى القراءة والتلاوة من لفظة (الأمانيّ) بقوله : " والذي يدلّ على صحّة ما قلنا في ذلك–وأنّه أولى بتأويل قوله : (إلّا أمانيّ) من غيره من الأقوال- قول الله جلّ ثناؤه : وإن هم إلّا يظنّون . فأخبر عنهم جلّ ثناؤه أنّهم يتمنّون ما يتمنّون من الأكاذيب، ظنّا منهم لا يقينا ، ولو كان معنى ذلك أنّهم (يتلُونه) لم يكونوا ظانّين "[57] .

ومن مظاهر وقوعهم تحت تأثير رواية الغرانيق والالتزام بمعنى القراءة الظاهر فيها، أنّهم حوّلوا معنى الرغبات –وهو المشهور من الأماني – إلى معنى القراءة أيضا، فقالوا: " إنّما سُمّيَت القراءة أمنية ؛ لأنّ القارىء إذا انتهى إلى آية رحمةٍ تمنّى حصولها ، وإذا انتهى إلى آية عذاب تمنّى إلّا يُبتلى بها "[58] ، و هذا النصّ أدلّ على أنّ القراءة معنًى يختلف عن الأمنيّة التي هي رجاءُ تحقّق ما ورد في القراءة . أمّا القراءة فهي معنًى مُقحَم في دلالة الأمانيّ ولا ربط له بالأصل في هذه المادّة ، لذا حاولوا إيجاد صلة بين الأصل في دلالة التمنّي وهو التقدير ، وبين معنى التلاوة والقراءة ، فقالوا :" إنّ التالي مُقدِّر للحروف ويذكرها شيئا فشيئا "[59]، وإنّ القراءة هي " تقدير ووضع كلّ آية موضعها "[60] ، وهذا خلاف ما ثبت عندهم من أنّ مادّة (القاف والراء والهمزة) تفيد معنى الضمّ والجمع ، لا التقدير" ومنه القرآن كأنّه سُمّي به بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك . فأمّا أقرأتِ المرأة ... كأنّها جمعت دمها في جوفها "[61] ، فـ " القراءة : ضمٌّ للحروف والكلمات بعضها إلى بعضٍ "[62] . ومعنى الضمّ والجمع في القراءة مُنتقِل من أصلٍ مجرّد مستعمل في الناقة ، وذلك قولهم : " ما قرأتْ هذه الناقة سلًى قطّ ، وما قرأتْ جنينا قطّ ، أي : لم يضطمّ رحمها على ولد "[63] . وكذا التلاوة تأتي بعد القراءة ، إذ يُراد بها متابعة القراءة ، ولا تكون إلّا لكلمتين فصاعدا[64] .

وفي تأكيد هذا التكلّف لمعنى القراءة في لفظة (تمنّى) نقول إنّ المُشترك اللفظي لا بدّ في معانيه من أصل واحد تُرَدّ إليه هذه المعاني ، ليكون هذا الأصل هو

المعنى المركـزيّ ، و مـا عـداه مـن معـاني المشـترك هـي المعـاني الهامشـيّة[65]، فلفظـة (العـين) التي اشـتُهِرت في أمثلـة المشـترك ، تشـترك معانيهـا بأصـل مـادّي يـدلّ علـى الاسـتدارة لعضـو البصـر ، ونلمـس هـذا الأصـل في دلالتهـا على واحـة المـاء التي تكـون مسـتديرة في الصـحراء ، وكـذا نلمسـه في دلالـت اللفظـة على الجاسـوس الـذي تكـون عينـه الباصـرة في ترقّـب النـاس والأخبـار ، وفي دلالتهـا على وجهـاء القـوم الـذين يُقـدّموا في الحـديث وأخـذ الـرأي منهم مواجهـة بـالعين والمحادثـة[66] . أمّـا لفظـة (التمنّي) فالأصـل في مادّتهـا (المـيم والنـون وحـرف العلّـة) الدلالـة على التقـدير ، أي : " تقـدير شـيءٍ ونفـاذ القضـاء بـه ، منـه قـولهم : منى لـه المـاني ، أي : قـدّر المُقـدِّر ... والمنيّـة : المـوت ؛ لأنّهـا مُقـدَّرَة على كـلّ ... و مِنَى : مِنَى مكّـة ... سُـمِّيَ بـه لمـا قُـدِّر أنّـه يُـذبَح فيـه "[67]، وهـو أصـل واضح في دلالتهـا المركزيّـة على الرغبـة ورجـاء حصـول الشـيء لأنّـه مـن التقـدير " تمنّى الإنسـان كـذا ، قياسـه أمـل يقـدّره ، قـال قـوم : إنّـه ذلـك الشـيء الـذي يرجـو ، والأمنيّـة : أفعولـة منـه "[68] " ، فـالتمنّي هـو تشـهّي حصـول الأمـر المرغـوب فيـه ، وهـو حـديث الـنفس بمـا يكـون وبمـا لا يكـون[69] ، وهـذا الأصـل يمكـن تلمّسـه في دلالتهـا على معنى الكـذب ؛ لأنّـه " لمّـا كـان الكـذب تصـوُّر مـا لا حقيقـة لـه وإيـراده في اللفـظ صـار التمنّي كالمبـدَأ للكـذب ، فصـحّ أن تعبّـر عـن الكـذب بـالتمنّي "[70] ، فـالتمنّي أعـمّ مـن الكـذب ، وكلاهمـا يشـترك في تصـوّر مـا لا حقيقـة لـه . و " الكـاذب يُقـدِّر في نفسـه الحـديث ثـمّ يقولـه "[71] . على حـين لا يمكـن تلمّـس أصـل التقـدير في معنى (القـراءة والـتلاوة) ؛ فـالأوّل مـن الجمـع وضـمّ الحـروف، والثـاني مـن متابعـة القـراءة ، فـلا علاقـة ظـاهرة بـين هـذين المعنيـين مـع أصـل التقـدير في التمنّي ، وإنّمـا التقـدير يكـون للأفكـار والمعـاني الذهنيّـة ، غيـر أنهـم في مـادة (مني) حشـروا معنى القـراءة ، والتقـدير خلـوٌ منـه ؛ لأنّ القـارىء لا يُقـدّر كلماتـه بـل يعتمـد على حفظـه لمـا قيـل وفُـرِغ مـن نظمـه وترتيبـه ، ولـو كـان في مـا يُنطَـق تقـدير فهـو ممكـن مـع (الحـديث) و (الكـلام) و (القـول) ؛ لأنّ هـذه الثلاثـة مرتبطـة بالـذهن والتفكير ، فتحتـاج إلى تقـدير المعـاني قبـل النطـق بهـا ، فـالقول يكـون " للمُركَّـب مـن الحـروف المُبْـرَز بـالنطق مفـردا كـان أو جملـة ...ويُقـال للمُتصـوَّر في الـنفس بـل الإبـراز بـاللفظ "[72] . فتركيـب الكلمـات مـن حـروف يحتـاج إلى تقـدير لرصـفها وترتيبهـا ، وكـذا الكلـم ، فهـو " نطـقٌ مُفهِـمٌ "[73] ، وهـو أيضـا " يقـع على الألفـاظ المنظومـة وعلى المعـاني التي تحتهـا مجموعـة"[74] ، فـلا بـدّ مـن تقـدير المنظـوم وجمعـه إلى بعضـه . وكـذا الحـديث يُـراد بـه " كـلامٌ يحـدُث منـه الشـيء بعـد الشـيء"[75] ، ولـذا " سـمّى

تعالى كتابه حديثا [76] ، فقال : " **فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ** " سورة الطور 34 .

وكذلك لم يُحرز معنى القراءة من معاني اللفظة في كلام عربيّ فصيح ، وما ورد من معجمات اللغة من ذكرٍ له فهو من تأثّر المُعجميّين بمتقدّمي المفسّرين وما فهموه من رواية الغرانيق ، قال ابن عاشور : " وقد فسّر كثيرٌ من المفسّرين (تمنّى) بمعنى : قرأ ، وتبعهم أصحاب كتب اللغة "[77] ، وقال –أيضا- : " وعندي في صحّة إطلاق لفظ الأمنيّة على القراءة شكّ عظيم ، فإنّه إن كان قد ورد تمنّى بمعنى قرأ في بين نُسِب إلى حسّان بن ثابت – إن صحّت رواية البيت عن حسّان - ... فلا أظنّ أنّ القراءة يُقال لها : أمنيّة "[78] . وقد تكلّفوا التأويل لحمل التمنّي على معنى القراءة بأن استدلّوا له ببيتين شعريّين ، غير أنّهم اضطربوا في عزو الأوّل منهما ، فمنهم من نسبه إلى حسّان بن ثابت ، و هو قوله :

تمنّى كتاب الله أوّل ليلهِ وآخِرَه لاقى حِمام المقادِر[79]

ولم يرد هذا البيت في ديوان حسّان ، فضلا عن إيراده بلا عزو في كثير من التفاسير وكتب اللغة[80] ، وهو بيت يتيم نُسِب عند بعضهم إلى حسّان يرثي به عثمان بن عفّان بعد مقتله . ومثله بيت يُنسَب إلى كعب بن مالك وهو من الأنصار ينظم بيتا يتيما –أيضا- في الحادثة نفسها ، إذ يقول :

تمنّى كتاب الله آخر ليلهِ تَمَنّي داودَ الزبورَ على رِسْلِ

وواضح من قرائن البيت اللغويّة أنّ المراد بالتمنّي هو رغبة المقتول بقراءة القرآن أوّل الليل وهو الوقت الذي داهموه به وحاولوا التسلّل إلى داره حتى قضوا عليه آخر الليل . ولم يكن يقرأ القرآن أوّل الليل لانشغاله بظروف الهجوم على داره[81] ، ولم يُذكَر المُتَمَنّى صراحةً ، استغناءً بلفظة (القرآن) التي تدلّ على (القراءة) وأنّها هي المُتَمَنَّاة ، وهذا المعنى نجده في كلام البخاريّ وهو يُعنون لكتابه حول الرغبة في قراءة القرآن الكريم وحفظة ، إذ سمّاه : " كتاب التمنّي ، باب تمنّي القرآن والعلم "، أي : تمنّي قراءة القرآن وحفظه ، وفيه الحديث عن رسول الله (ص) أنّه قال : " لا تحاسُد إلّا في اثنتين : رجل أتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار ، يقول : لو أوتيت مثل ما أوتي هذا لفعلت كما يفعل ..."[82] ، فالرجل يتمنّى تلاوة القرآن آناء الليل والنهار ، والعنوان بلا ذكر للمُتَمَنَّى : (باب تمنّي القرآن) . وبذا يظهر بطلان إشراكهم القراءة والتلاوة مع مادّة التمنّي ، فهذه الأبيات محمولة على تقدير محذوف ، والمعنى : تمنّى تلاوة القرآن ، وفيها كناية عن ضعف الممدوح

وعجزه واحتضاره ، وأنّهم لمّا حاصروه في داره ومنعوا عليه الماء والطعام صار لا قدرة له على تلاوة القرآن والصلاة إلّا تمنّيا . وممّا يردّ تأويل (تمنّى) بـ (قرأ وتلا) أنّ الأنبياء ليسوا جميعا أصحاب كتب سماويّة مرسلة تلاوة وقراءة فيتحقّق مع جميعهم تفسير (تمنّى) ب(تلا وقرأ) ؛ ذلك أنّ القرآن الكريم فرّق بين الرسول والنبيّ بأنّ الرسول صاحب كتاب سماويّ إلى قوم بعينهم وهذا يحتاج إلى تلاوة وقراءة لتبليغه، أمّا النبيّ فمُحدَّث وليس مُرسلا بكتاب إلى قوم معيّنين ، فلا يحتاج الأمر معه إلى قراءة ولا تلاوة ، فـ" كلّ رسول نبيّ ، وليس كلّ نبيّ رسول "[83] ، إذ " الرسول من جمع إلى المعجزة الكتاب المُنزّل عليه ، والنبيّ غير الرسول : مَن لم يُنزّل عليه كتاب ، وإنّما أُمِر أن يدعو الناس إلى شريعة مَن قبله "[84]،وحينئذ يبطل تفسير (تمنّى) ب(قرأ وتلا) مع النبيّ ، ويصحّ مع (الرسول) فقط . لكنّ الآية ذكرت الفعل مع الرسول والنبيّ معا ولذا يبطل تأويله بمعنى القراءة والتلاوة مع الاثنين .

المطلب الثالث : تمنّى بمعنى وَدَّ و أَحَبَّ و رَغِبَ في حصول شيءٍ يكتمه

وهذا هو المعنى اللغويّ المألوف في كلام العرب[85] وفي سياق القول في التعبير القرآنيّ ، " وتمنّى معناه المشهور : أراد وأحبّ"[86] ، وهو " كلمة مشهورة وحقيقتها طلب الشيء العسير حصوله "[87] ، وبه حاول بعض متأخّري المفسّرين محاولة شجاعة للخروج من طوق التأثّر بالمرويّات الحديثيّة من دون غربلتها . وعلى وفق تفسير (تمنّى) ب (تصوّر حصول المحبوب) يُحتَمَل في الآية معنيان :

أوّلا : أنّ الرسول (ص) يحمل رسالة سماويّة شاملة ، وقد أرسله الله تعالى رحمة للعالمين كلّهم لا بعضهم ، فكانت غاية أمنيته أن يدخل الناس في دين الله أفواجا طائعين مُذعنين كلّهم فينجوا جميعا من عذاب السعير. لكنّ الشيطان لن يرضى بتحقّق أمنية النبيّ (ص) هذه بل يُلقي في الصراط المستقيم حبائله وأشراكَه كما في قوله تعالى : " **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ** " سورة الأعراف : 16 ، فالنبيّ (ص) يتمنّى لقومه الخير والصلاح ، والشيطان يحول دون ذلك فيُلقي العقبات والشبه على الناس " فيُزيل الله تلك الشبه شيئا فشيئا حتّى يُسلم الناس "[88]. ولكن على وفق هذا الوجه لا يُفهَم معنى ذيل الآية : " فينسخ الله ما يُلقي الشيطان ثمّ يُحكم الله آياته " ؛ لأنّ سياق الحال من قبلُ والآن يشهد بأنّ أكثر الناس لا يؤمنون ولا يعلمون ولا يشكرون ، وقد أبى أكثرهم إلّا كفورا . ثمّ إنّ الله – عزّ وجلّ- أقرّ إبليس حين أنظره إلى يوم الوقت المعلوم بأنّ أكثر الناس سيقعون في غوايته ، وأنّ المُخلَصينَ من غوايته هم قلّة قليلة " ، قال تعالى : " **قَالَ رَبِّ بِمَا**

أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ "سورة الحجر 39 ، 40، فما ألقاه الشيطان في أمانيّ النبيّ (ص) مُتَحَقِّق الآن وليس منسوخا كما أخبر القرآن. وكذا فإنّ توجيهاتهم لهذه الرغبات النبويّة لم تَنْجُ من شباك الروايات الحديثيّة لقصّة الغرانيق ، فالاتّجاه الغالب عند المفسّرين أنّ رغباته (ص) كانت بالضدّ من رضا الله تعالى وإرادته ، قال البغويّ ت 516هـ : " لمّا رأى رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)تولّي قومه عنه وشقّ عليه ما رأى من مباعدتهم عمّا جاءهم به من الله تمنّى في نفسه أن يأتيه من الله ما يُقارب بينه وبين قومه؛ لحرصه على إيمانهم ، فكان يوما في مجلس لقريش فأنزل الله تعالى سورة النجم ، فقرأها رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) حتّى بلغ قوله : " أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى " النجم 19و 20 ، ألقى الشيطان على لسانه بما كان يُحدّث به نفسه ويتمنّاه : تلك الغرانيق العلى وإنّ شفاعتهن لترتجى."[89] فالرسول (ص) تمنّى أن لا ينزل عليه ما يُنفّرهم لعلّه يتّخذ ذلك طريقا إلى استمالتهم "[90] . وأنِس ابن عطيّة ت 541 هـ بهذا التأويل ناقلا إيّاها أوّلا ، بقوله : " تمنّى معناه المشهور أراد وأحبّ ...والمراد أنّ الشيطان ألقى ألفاظه بسبب ما تمنّاه رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)من مقاربة قومه وكونهم متّبعين له، قالوا : فلمّا تمنّى رسول الله من ذلك ما لم يَقْضِهِ الله ... ألقى الشيطان تلك الغرانيق العلى وإنّ شفاعتهنّ لترتجى"[91] ، وفي هذا الوجه تكون رغبات النبيّ (ص) بالضدّ من حكمة الله تعالى وإرادته، " فالمعنى أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) متى تمنّى بعض ما يتمنّاه من الأمور يوسوس الشيطان إليه بالباطل، ويدعوه إلى ما لا ينبغي "[92]، وبعضهم جعل صورة إلقاء الشيطان أن " يقول له : لو سألت الله جلّ وعزّ أن يُغَنِّمَك كذا ليتّسع المسلمون، ويعلم الله جلّ وعزّ أنّ الصلاح في غير ذلك ، فيُبطِل ما يُلقي الشيطان"[93]. وهذا الفريق من المفسّرين سوّغ أن يكون النبيّ (ص) مداهنا للكفّار؛ لملحظ سلامة نيّته في تحقُّق دخولهم للإسلام وهدايتهم للدين ، فـ " الرسل بشر محدودو الأجل ... فيتمنَّون لو يجذبون الناس إلى دعوتهم بأسرع طريق ... يودّون مثلا لو هادنوا الناس فيما يعزّ على الناس أن يتركوه من عاداتٍ وتقاليد و موروثات ويسكتوا عنها مؤقّتا لعل الناس أن يفيئوا إلى الهدى..."[94] ، غير مُلتفتين إلى أنّ هذا التأويل هو على حساب ثوابت العقيدة ، إذ نفى سبحانه عنه المداهنة للكفّار: " ودّوا لو تدهن فيدهنون " ، وفيه تجويز تعظيم الأوثان على النبيّ (ص) ، و " من المعلوم بالضرورة أنّ أعظم سعيه كان في نفي الأوثان"[95] . وقد رتّب عليه بعض المفسّرين جواز السهو

والغلط في حقّ الأنبياء ، قال الثعلبيّ : " وفي الآية دليل على أنّ الأنبياء يجوز عليهم السهو والنسيان والغلط بوسواس الشيطان أو عند شغل القلب حتّى يغلط، ثمّ ينبّه ويرجع إلى الصحيح"[96] ، وهذا لا يجوز بحقّ الأنبياء وخاصّة في الوحي كما لا يجوز " أن يقرأ بعض القرآن ثمّ يُنشد شعرا ، ويقول : غلطت وظننته قرآنا"[97]، ومن المفارقة أنّ الرازيّ يرفض السهو في حقّ النبيّ (ص) إذا كان قد وقع برغبة منه (ص) في المقاربة مع قومه ، ويستدلّ على هذا المنع بحجّة دامغة، وهي أنّه سينسحب هذا السهو والشكّ في التبليغ على جميع آيات القرآن غير آية التمنّي ، إذ : " لو جوّزنا ذلك ، ارتفع الأمان عن شرعه، وجوّزنا في كلّ واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك ، ويبطل قوله تعالى : (يا أيّها الرسول بلّغ ما أُنزِل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس " المائدة 67 "[98]، وقال أيضا : " لو جاز هذا السهو لجاز في سائر المواضع ، وحينئذ تزول الثقة عن الشرع "[99].غير أنّ الرازيّ يُجيز السهو على الرسول (ص) إذا كان بفعل الشيطان وتأثيره ، من غير رغبةٍ للنبيّ (ص) في استرضاء قومه ، مع أنّ العلّة واحدة في منع السهو على الأنبياء، إذ يقول : " يرجع حاصل البحث إلى أنّ الغرض من هذه الآية بيان أنّ الرسل الذين أرسلهم الله تعالى وإن عصمهم عن الخطأ مع العلم فلم يعصمهم من جواز السهو ووسوسة الشيطان ، بل حالهم في جواز ذلك كحال سائر البشر ، فالواجب أن لا يُتَّبَعوا إلّا فيما يفعلونه عن علم فذلك هو المحكم" [100]

ثانيا- أنّ الرسل والأنبياء جميعا لهم رغبات في حصول أمور يتمنَّونها ، وهي أمور تجري في طاعة الله وما يُحبُّه سبحانه ، وكلّهم محاطون بالمنافقين في أزمانهم ، ومنهم نبيّنا الخاتم (ص) ، إذ كان مُحاطا بالمنافقين الذين تقمّصوا رداء الإسلام حتّى نزلت فيهم سورة كاملة باسمهم ، وهؤلاء لا همّ لهم إلّا الصدّ عن سبيل الله : " **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا** " ، وإلّا الخداع " **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ** " سورة النساء 142 ، وهم يحولون دون تحقّق أمنيّة النبيّ (ص) ، فالشيطان ليس بالضرورة أن يكون كائنا دخانيّا مخلوقا " **مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ** " سورة الرحمن 15 ، بل هو إنسان أيضا [101]، كما في قوله تعالى : " **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا** " سورة الأنعام 112. وعلى وفق هذا الوجه ثمّة روايات كثيرة مأثورة عن النبيّ الأكرم أنّه كان يتمنّى حصول أمر يُحبّه لكنّ بعضهم كان يُفسد على النبيّ أمانيه كما في حديث الطائر

المشويّ الذي روته صحاح المسلمين عن أنس بن مالك ، وخلاصته أنّه قال : كان عند النبيّ (ص) طيرٌ أُهدي إليه، فقال : اللهم ائتني بأحب الخلق إليك ليأكل معي هذا الطير. فجاء عليّ فرددتُهُ، ثمّ جاء فرددتُه ، فدخل في الثالثة أو في الرابعة، فقال له النبيّ (ص) : ما حبسك عنّي؟ . قال : والذي بعثك بالحقّ نبيّا إنّي لأضرب الباب ثلاث مرّات ويَرُدّني أنس . فقال رسول الله (ص) : لمَ رددتَه ؟ قلتُ: كنتُ أُحِبُّ معه رجلا من الأنصار ، فتبسّم النبيّ (ص)[102] . فمن يحول دون تحقّق أمنيّة النبيّ (ص) التي هي رضا لله تعالى –أيضا- يُعَدّ شيطانا إنسيّا وإن علا شأنه وسمق مقامه، وعند تتبّع سيرة أنس بن مالك يظهر أنّه سكت عن الشهادة بالحقّ لمّا ناشد أميرُ المؤمنين الناسَ اللهَ في الرحبة بالكوفة ، فقال: " أنشدكم الله رجلا سمِع النبي (ص) يقول لي ، وهو منصرف من حجّة الوداع: مَن كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد مَن عاداه، فقام رجال فشهِدوا بذلك، فقال عليه السلام لأنس بن مالك: لقد حضرتها فما بالك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين كبِرَتْ سنّي وصار ما أنساه أكثر ممّا أذكره . فقال له : إنْ كنتَ كاذبا فضربك الله بها بيضاء لا تواريها العِمامة ، فأصابه البرص فكان لا يُرى إلّا مُتبرقِعا حتّى مات[103] . ومن هذا ما نقرؤه في تفسير القمّيّ وغيره عن أبي عبد الله الصادق (ع) أنّ رسول الله (ص) أصابه خصاصة فجاء إلى رجل من الأنصار فقال له : هل عندك من طعام ؟ فقال : نعم يا رسول الله ، وذبح له عناقا وشواه ، فلمّا أدناه منه تمنّى رسول الله (ص) أن يكون معه أهل بيته (ع)، فجاء منافقان فردّهما الأنصاريّ ، ثمّ جاء عليّ (ع) بعدهما ، فأنزل الله تعالى الآية، وفيها : (فيَنسَخ الله ما يلقي الشيطان) ، أي : يُزيل أهل النفاق عن أمنيّتك ، (ثمّ يُحكم الله آياته) ، أي : يؤيّدك بأحبّ الخلق على نفسك [104]. والقرائن المرجّحة لهذا التأويل كثيرة ، أوّلها تأييد متن اللغة له ، ذلك أنّ التمنّي في اللغة يعني تقدير شيء في النفس وتصويره فيها وذلك قد يكون عن تخمين وظنّ ، أو يكون عن رويّة ودراية . والأمنيّة : الصورة الحاصلة في النفس من تمنّي الشيء ، وقوله تعالى : " **وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ** " سورة البقرة 78 ، أي : إلّا تخيّلات ذهنيّة كاذبة . أمّا أماني النبيّ (ص) فهي تصوّرات ذهنيّة صادقة ؛ لأنّ تفكّر النبيّ وتأمّله إنّما يكون إلهاما من الله أيضا . ومن المرجّحات الواضحة تعبير القرآن الكريم عن أوليائه الصالحين بلفظ (الآية) و (الآيات) كما في قوله تعالى : " **وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ** " سورة البقرة 259 ، و قوله سبحانه : " **وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا** " سورة مريم 21، و " **وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ** "

سورة الأنبياء 91، وقوله تعالى: "**لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ** " سورة يوسف 7، ومثله قوله تعالى : " **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا** "سورة الكهف 9. ومن المرجّحات اللغويّة المُبَرّزة أنّ لفظة (الشيطان) اسم جنس إفراديّ ، تقع على المفرد والجمع ، و قد عبّر القرآن الكريم عن الشياطين بأنّهم نوعان: شياطين الإنس والجنّ، وأنّ أشدّهم عداوة للأنبياء هم شياطين الإنس، بدليل تقديمهم في السياق على شياطين الجنّ في قوله تعالى : " **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** "سورة الأنعام 112 .

والخلاصة أنّ النبيّ الأكرم بَشَرٌ له أمانيه ومشاعره ، ولكنّه يُحبّ في الله ويكره في الله، فتنساب في فؤاده الأمانيّ التي يُحبّها ويُحبّها الله معه ، لكنّ شياطين الجنّ والإنس يسعون في إبطال تلك الأمانيّ العباديّة التي هي أشبه بالأحاديث القدسيّة ، وذلك بإلقائهم أمانيّهم الدنيويّة الزائفة في تفكّر النبيّ الأكرم بغية إلحاقها بالسيرة النبويّة العطرة التي يتعبّد بها المسلمون على مرّ التاريخ . فلا مناص من إقصاء رواية الغرانيق الزائفة والمفتراة على مقام النبوّة والرسالة ، وهو ما ذهب إليه جملة من علماء المسلمين[105] غير مُبالين بتصحيح ابن حجر لها ، إذ قال : " إنّ هذه القصّة ثابتة بثلاثة أسانيد كلّها على شرط الصحيح ، وهي مراسيل يحتجّ بمثلها من يحتجّ بالمرسل ، وكذلك من لا يحتجّ به ؛ لاعتضاد بعضها ببعض ؛ لأنّ الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها ، دلّ ذلك على أنّ لها أصلا "[106]، ذلك أنّ المُعَوَّل عليه في اعتماد الروايات هو موافقتها لثوابت القرآن ، وعدم تعارضها مع ظاهر الآيات القرآنيّة ؛ لأنّ التعارض بين الآيات مرفوض ، وهو رَدّ بعرض الجدار[107]، فضلا عمّا يستتبعه هذا التعارض من اعتباطٍ في التأويل وخروجٍ عن ثوابت اللغة .

وما تعدُّد التأويلات واختلافاتها في الآية إلّا دليل على ضعف رواية الغرانيق الذي أوقع المفسّرين في هذه الحيرة وهذا التخبّط .

الخاتمة

تبيّن لي أنّ أهل اللغة والمشتغلين فيها لا بدّ أن يُدلوا بدلوهم في متابعة التفسيرات اللغويّة الاعتباطيّة التي تتصادم مع وحدة القرآن العزيز ، وتؤدّي إلى تضارب دلالات الآيات مع بعضها ، وأنّ الطريق الأنجع لفهم القرآن ومقياس الصحّة في اختيار التأويل الأمثل هو تفسير القرآن بالقرآن ، وأنّ المرويّات الحديثيّة فيها

الغثّ والسمين ، ولا بدّ من غربلتها لتتواءم مع مسلّمات الدرس اللغويّ المبنيّة على استقراء التعبير القرآنيّ وفصيح الكلام ، وإلّا لا خير في علم لا يُعمَل بثوابته ولا تؤتى أكُله . وقد تبيّن أنّ للصياغة دورها القصديّ في إفادة المعاني الصرفيّة الدقيقة بما تضطمّ عليه من التشكيل الصوتيّ المناسب لكلّ معنًى ، فلا يمكن أن تدلّ صغية على غير معناها، ولذا هي قوالب محدّدَة لا ينبغي أن تخرج عن سبكها مراعاة لمعنًى تفرضه رواية حديثيّة، لأنّ الروايات إن صحّت نسبتها إلى خير من نطق بالضادّ لا تعدو أن تتماشى مع الاستعمال الفصيح الذي يُراعي هذا الفنّ. وأنّ الجمل والتراكيب لها نظامها اللغويّ الذي لا يُخطىء وضعَ لفظة في جوار أختها، ولا استعمال أداة دون غيرها إلّا لمعنًى مقصود ولمحا لدلالة بعينها ، ولا يُمكن السكوت على استعمال قبيح في حقّ النظم القرآنيّ مراعاةً لروايات حديثيّة لها ما ينقضها في كتب الحديث الأخرى ، فضلا عن إمكان أن يُحتَكَم إلى ظرفها المقاميّ في تلمّس حقيقة المراد منها بما لا يؤدّي إلى التضارب بين كلام الله وكلام نبيّه (ص) . وكذا لا بدّ في كلّ ظاهرة معجميّة من تلمّس أصل واحد ترجع إليه معانيها، وهي فكرة أسّس لها علماء العربيّة واعتمدها ابن فارس ضابطا لمقاييسه ، وبها يصحّ الحكم على الألفاظ اشتراكا أو ترادفا أو تضادّا، أو تطوّرا للمعاني بعضها عن بعض، فلا يُمكن بوجه من الوجوه تصنيف الألفاظ وفق مجالٍ دلاليّ من غير متابعة لأصلها الذي تطوّرت منه ، فإيجاد هذا الأصل يُشكّل نواة المعنى المحسوس أو المجرّد وبه يصدق تصنيفها ولا يحسُن تجاوزه إكراما لرواية حديثيّة يصدع ظاهرها بمعارضة آيات القرآن وحكمته البالغة .

الهوامش:

1ينظر: صحيح البخاريّ رقم 107 .

2 ينظر: نهج البلاغة ، الحكمة 264 ، 686/4 .

3 ينظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلاميّ 343

4 ينظر: لمحات في تاريخ السنة : ص 11 .

5 علوم الحديث ومصطلحه : 316 .

6 المصدر نفسه 315 .

7 إنّ ما يؤخذ على سيبويه من قلّة استشهاده بالحديث النبويّ الشريف مدفوع بعدم خبرته بهذا العلم الدقيق ، وهو علم رواية الحديث ودرايته ، لأنّ تحصيله بحاجة إلى فراغ وطول زمان ، فلم تكن المدوّنات الحديثيّة قد تمّت في عهد أوائل النحاة ، فضلا عن أسباب أخرى ذُكِرت في مظانّها ،

ومع هذا فإنّ المؤلّفات النحويّة وكتب العربيّة القديمة لم تخلُ من الاستدلال بالحديث النبويّ الشريف ، ينظر: الحديث النبويّ الشريف وأثره في الدراسات اللغويّة والنحويّة ص 375 وما بعدها ، و الحديث النبويّ في النحو العربيّ : ص 109 ، و موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف : ص 6 .

8 جامع البيان 74/1

9 البحر المحيط6/1

10 ينظر: لمحات في تاريخ السنّة وعلوم الحديث : ص 10 .

11 النحو العربيّ ، العلّة النحويّة : نشأتها وتطوّرها : ص 80 .

12 النحو العربي ، العلّة النحويّة : نشأتها وتطورها : ص 83 .

13 الخصائص : 316/3 .

14 المزهر: 312/2 .

15 الخصائص : 2/1 .

16 الإنصاف في مسائل الخلاف : ص 7 .

17 الاشباه والنظائر في النحو: 9/1 .

18 ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف : ص 796 .

19 ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس : 340/2 .

20ينظر: المفردات : ص 779 ، وتاج العروس (مني) .

21 ينظر:مفاتيح الغيب 45/8 ، والبحر المحيط 526/7 ، وأضواء البيان ص1161

22 جامع البيان : 238/10 .

23ينظر: معاني القرآن للفرّاء : 229/2 ، و جامع البيان : 238/10 ، و إعراب القرآن للنحّاس 82/3 ، والمحرّر الوجيز 129/4 ، و مفاتيح الغيب 44/8 ، والجامع لأحكام القرآن 58/12 ، ، و تفسير القرآن العظيم 441/3 ، وأضواء البيان 1161 .

24 صحيح البخاري : رقم (1070) .

25 المصدر نفسه : رقم (1071)

26ينظر: البحر المحيط526/7 .

27 ينظر: معاني القرآن للفرّاء 229/2 ، وإعراب القرآن للنحّاس 82/3 ، والمحرّر الوجيز 129/4 ، ومفاتيح الغيب 44/8 ، والجامع لأحكام القرآن 58/12 ، وتفسير القرآن العظيم 441/3 ، وأضواء البيان 1161

28معالم التنزيل : 247/3

29 جامع البيان : 238/10 .

30 معالم التنزيل : 247/3 ، وينظر: تفسير القرآن العظيم : 441/3

31المحرّر الوجيز 129/4 .

32 المفردات 779 .
33 قال (ﷺ) : من أراد الحجّ فليتعجّل ، ينظر: مسند أحمد ، رقم (1973) .
34 مجمع البيان 197/10 .
35البحر المحيط : 526/7
36ينظر: المقاييس : ص 1026 .
37ينظر: المحرّر الوجيز 129/4
38المحرّر الوجيز 129/4 ، وينظر: تفسير القرآن العظيم : 441/3 .
39الجامع لأحكام القرآن 61/12، وينظر: أضواء البيان 1161.
40 البحر المحيط 525/7
41الدرّ المصون 160/5
42ينظر: مفاتيح الغيب 47/8
43المصدر نفسه 47/8
44 الجامع لأحكام القرآن 61/12
45 ينظر: مغني اللبيب : 223/1 .
46 ينظر: التفسير البسيط 465/15 ، و روح المعاني 225/17 .
47 ينظر: أضواء البيان 1162
48 ينظر: روح المعاني 225/17 ، والتحرير والتنوير: 18/ 297 .
49 ينظر: مغني اللبيب : 213/1 .
50 ينظر: المصدر نفسه : 184/1-185 .
51 ينظر: مفاتيح الغيب 48/8
52 ينظر: اللسان (مني)
53 ينظر: معاني القرآن للفرّاء 50/1 ، و جامع البيان : 491/1 .
54 ينظر: جامع البيان 492/1 .
55 المفردات : 779 .
56 المفردات 780
57 جامع البيان : 494/1 .
58 مفاتيح الغيب 46/8
59 مفاتيح الغيب 46/8 ، وينظر: روح المعاني 225/17
60 المقاييس : 966 .
61 المقاييس : 884 ،
62 المفردات : 668
63 اللسان :(قرأ)

64 ينظر: الفروق اللغويّة 140

65 ينظر: دراسات في فقه اللغة : ص 305 ، و المشترك اللغويّ نظريّة وتطبيقا 107

66 ينظر: البلاغة وقضايا المشترك اللفظيّ : ص 100

67 المقاييس : 966 .

68 المصدر نفسه : 966 .

69 ينظر: اللسان (مني)

70 المفردات 780 .

71 لسان العرب (مني)

72 المفردات : 688 .

73 المقاييس : 906 .

74 المفردات : 722 .

75 المقاييس 253 .

76 المفردات 222 .

77 التحرير والتنوير: 297/18 .

78 التحرير والتنوير: 300/18 .

79 ينظر: مجمع البيان 91/4 ، ومفاتيح الغيب : 46/8 ، و البحر المحيط 527/7 ، وروح المعاني 225/17 .

80ينظر: الكشف والبيالن 307/4 ، و التبيان : 270/7 ، و معالم التنزيل 247/3 ، والكشّاف 232/3 ، و المحرّر الوجيز 128/4 ، اللسان (مني) ، وتفسير القرآن العظيم 441/3 .

81 ينظر: تاريخ الطبريّ : 143/3 .

82صحيح البخاري : رقم (7232)

83معالم التنزيل 247/3

84 الكشاف : 231/3، وينظر: مفاتيح الغيب 44/8

85 ينظر: المقاييس : ص 966، والمفردات : ص 779 ، واللسان (مني)

86 المحرّر الوجيز: 128/4 .

87 التحرير والتنوير: 297/18 .

88 البحر المحيط :525/7 .

89معالم التنزيل 247/3 ، وينظر مفاتيح الغيب 44/8 .

90الكشاف : 231/3 .

91 المحرّر الوجيز: 128/4

92 مفاتيح الغيب : 48/8

93 إعراب القرآن للنحاس 84/3

94 في ظلال القرآن : 2433/17 .

95 مفاتيح الغيب : 45/8

96الجامع لأحكام القرآن 63/12 ، وينظر: الكشف والبيان 308/4 .

97 الجامع لأحكام القرآن : 63/12

98 مفاتيح الغيب : 46/8

99 المصدر نفسه : 47/8

100 نفسه: 49/8 .

101 ينظر: مفاتيح الغيب 47/8 ، و الجامع لأحكام القرآن 60/12 .

102ينظر: المستدرك على الصحيحين ، رقم (4625) .

103ينظر: شرح نهج البلاغة للمعتزليّ : 19/ 217 .، رقم (317) .

104 ينظر: تفسير القمّي : 85/2 ، ونور الثقلين 549/5 .

105 ينظر: إعراب القرآن للنحّاس 84/3 ، و مفاتيح الغيب 45/8 ، والجامع لأحكام القرآن 59/12 ، وأضواء البيان 1162 .

106 فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ 293/8 ، و ينظر: أنوار التنزيل 1163

107ينظر: أصول الكافي : 49/1 ، وتفسير الصافي : 36/1 .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1-الأشباه والنظائر في النحو ، السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ، بلا ت .

2-أصول الكافي ، محمد بن يعقوب الكلينيّ ت 329هـ ، ، ضبط : محمد جعفر شمس الدين ، دار التعارف ، بيروت –لبنان ، ط2 ، 1430هـ-2005م .

3-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ، ط3، 2011م .

4-إعراب القرآن ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحّاس ت 338هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت-لبنان ، 1425هـ-2005م .

5-الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين ، البصريين والكوفيين ، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي السعيد الأنباري ت 577هـ ، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف لمحمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة ، مصر ، ط4، 1380هـ-1961م .

6-البحر المحيط في التفسير ، ، أبو حيّان محمد بن يوسف الأندلسي ، ت754هـ، دار الفكر ، بيروت –لبنان ، 1426هـ-2005م .

7-تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيدي ت 1205 هـ ، دار الهداية ، بلا ت .

8-التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت 460هـ ، تح:أحمد حبيب قصير العاملي ، مط: الأميرة ، ط1، 1431هـ-2010م .

9-التحرير والتنوير ، محمد بن عاشور ، ت 1393هـ ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984 هـ .
10-التفسير البسيط ، أو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي ، ت 468هـ ، تح: مجموعة من الأساتذة ، دار العماد ، دمشق ، ط1، 1434هـ-2013م .
11-تفسير الصافي ، الفيض الكاشاني ، ت 1091هـ ، مكتبة الصدر ، إيران –طهران ، 1379هـ .
12-تفسير القرآن العظيم ، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ت 774هـ ، إشراف محمود عبد القادر الأرناؤوط ، دار صادر ، بيروت-لبنان ، ط5، 2009م .
13-تفسير القمّيّ ، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي ، ت 329هـ ، تح: محمد باقر الموحّد ، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام ، قم ، ط2، 1435هـ .
14-جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، ت 310هـ ، دار ابن حزم ، ودار الأعلام ، ط1، 1423هـ-2002م .
15-الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الانصاري القرطبي، ت 671هـ، ط1، 1425هـ -2005م .
16-الحديث النبويّ الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية ، محمد ضاري حمادي ، مؤسسة المطبوعات العربية ، بيروت-لبنان ، ط1، 1402هـ-1982م .
17-الخصائص ، أبو الفتح عثمان ابن جنيّ ، تح: محمد علي النجار ، بغداد ، ط4، 1990م .
18-دراسات في فقه اللغة ، د. صبحي الصالح ، مطبعة جامعة دمشق ، 1379هـ-1960م .
19-الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون ، أبو العباس شهاب الدين بن يوسف بن محمد بن إبراهيم السمين الحلبي، تح: الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2 ، 2013م .
20-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو الفضل شهاب الدين الآلوسي ت 1270هـ ، تعليق محمد أحمد الأمد ، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان ، ط1، 1420هـ-1999م .
21-الزاهر في معاني كلمات الناس ، محمد بن القاسم الأنباري ، ت 328هـ ، تح: حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1، 1412هـ-1992م .
22-السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، د. مصطفى السباعي ، مطبعة المدني ، مصر ، ط1، 1380هـ-1961م .
23-شرح نهج البلاغة للمعتزليّ ، ابن أبي الحديد ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء التراث العربي ، ط2، 1387هـ-1967م .
24--صحيح البخاريّ ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، ت 256هـ ، عناية د. محمد محمد تامر ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط2، 1430هـ-2009م.
25-علوم الحديث ومصطلحه ، عرض ودراسة ، د. صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط5 ، 1388هـ-1969م .

26-فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار المعرفة ، بيروت ، 1379 م .
27-الفروق اللغويّة ، أبو هلال العسكري ، ت 395هـ ، تح: محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة ، القاهرة ، مصر ، بلا ت .
28-في ظلال القرآن ، سيّد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط1، 1425هـ-2004م .
29-الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري ، ت 538هـ ، دار الفكر ، ط1، 1977م .
30-الكشف والبيان في تفسير القرآن ، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، ت 427هـ ، بيروت –لبنان ، بلا ت .
31-لسان العرب ، أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور ، ت 711هـ ، تح: عبد الله علي الكبير ، دار المعارف للنشر ، القاهرة ، 1980م .
32-لمحات في تاريخ السنّة وعلوم الحديث ، عبد الفتاح أبو غدّة ، دار عالم الكتب ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1984م .
33-مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو علي الحسن الطبرسي ، ت ق 6 هـ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت –لبنان ، ط2، 1425هـ - 2005 م .
34-المحرّر الوجيز في تفسير القرآن العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ت 546هـ ، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط2 ، 1428هـ-2007م.
35-المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، السيوطي ، ت 911هـ ، تح: فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1418هـ -1998 م .
36-المستدرك على الصحيحين ، أبو عبد الله الطهماني النيسابوري ، ت 405هـ ، تح: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1411هـ-1990م .
37-مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ت 241هـ ، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ط1، 1421هـ-2001م .
38-المشترك اللغويّ نظرية وتطبيقا ، توفيق محمد شاهين ، مكتبة وهبة ، 1980م .
39-معالم التنزيل ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، ت 516هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط1، 1424هـ-2004م .
40-معاني القرآن للفرّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء، ت207هـ، بيروت، ط2، 1980م .
41-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، جمال الدين بن هشام الأنصاري ، ت 761هـ ، مؤسسة الصادق للطباعة ، تح: د. مازن المبارك ، ط1، 1378هـ .
42-مفاتيح الغيب ، المشهور بالتفسير الكبير، فخر الدين محمد بن ضياء الدين عمر الرازي ت 604هـ ، دار الفكر ، ط1 ، 1426هـ-2005م .

43-مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، الراغب الأصفهاني ، ت 425هـ ، تح: صفوان عدنان ، دار العلم ، دمشق ، 2000م .
44-مقاييس اللغة ، ابن فارس ، ت 395هـ ، تح: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، 1399هـ-1979م .
45-موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث الشريف ، د. خديجة الحديثي ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، 1981م .
46-النحو العربيّ ، العلّة النحويّة نشأتها وتطوّرها ، د. مازن المبارك ، المكتبة الحديثية ، 1385هـ-1965م .
47-نور الثقلين ، تفسير نور الثقلين ، عبد علي بن جمعة الحويزي ، تح: رضا عياش ، دار المحجّة البيضاء ، ط1، 1435هـ-2015م .
48-نهج البلاغة ، شرح محمد عبده ، شركة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت –لبنان ، ط2 ، 1432هـ-2011م .

The Impact of Hadith Narratives on Linguistic Interpretation, a Critical Linguistic Study

Prof. Dr. Jinan Nadhim Hameed

College of Arts - Al-Mustansiriya University

dr.genanhamd@uomustansiriyah.edu.iq

Keywords: Fatima Al-Zahra (peace be upon her), Fadak, Orientalism

Summary:

The research is entitled: The Impact of Hadith Narratives on Linguistic Interpretation, a Critical Linguistic Study. The idea of the research came from observing the influence of the interpreters of the Holy Quran on the apparent meanings of the hadiths that were narrated from the Prophet and in which there is an interpretation of the Quranic verses, although some of the narrations contradict the appearance of the verses themselves, and with the constants of the grammatical and linguistic study.

The meanings of the verses are coordinated towards adapting them to match the narrations, affected by what the hadiths described in terms of the authenticity of the isnad, even if this leads to a contradiction between the verses of the Quran and the undermining of the station of prophecy and the constants of religion. And since this phenomenon was clear in the books of interpretation, the research chose the word (wishing) as an example of the commentators violation of the lexical constants in judging the verbal co-existence, which requires the existence of an original meaning that appears in the different meanings of the word. Al-Zafer in its original meaning, they were influenced by the narration of the Gharaniq falsely attributed to the Prophet (PBUH). Hence, the research finds it necessary to stand at the linguistic directives of the commentators and criticize them in a way that is in agreement with the linguistic analogy based on the constant extrapolation of eloquent speech, foremost of which is the Quranic statement, and does not lead to contradiction. Among the verses of the wise remembrance.